مذكرات

wMOKKÇuðuMçMÐ

دار ئاراس للطباعة والنشر

السلسلة الثقافية

*

صاحب الإمتياز: شوكت شيخ يزدين

رئيس التحرير: بدران أحمد حبيب

***

العنوان: دار ئاراس للطباعة والنشر - حي ŠeHŪ - اربيل - كوردستان العراق
ص. ب: رقم ١
www.araspublisher.com

مذكرات

wMOKKÇuðuMçMÐ

ترجمة وتعليق

جرجيس فتح الله

اسم الكتاب: مذكرات بنڤنوتو چلليني
ترجمة وتعليق: جرجيس فتح الله
من منشورات ئاراس رقم: ١١١
التصحيح والتصميم: شاخوان كركوكي
الغلاف: شكار عفان النقشبندي
خطوط الغلاف: الخطاط محمد "ﻫ"
الإشراف على الطبع: عبدالرحمن محمود
الطبعة الأولى: مطبعة وزارة التربية - اربيل ٢٠٠٢
عدد النسخ: ١٢٠٠ نسخة
رقم الإيداع في مكتبة المديرية العامة للثقافة والفنون في اربيل ٢٠٠١/٤٨٠

المقدمة

ظروف إنجاز هذه الترجمة:

في العام ١٩٦٣، وبإثر إنقلاب الثامن من شهر شباط الدموي، وجدتُ نفسي مداناً بتهمة لم يُحكَم تلفيقها – أمام محكمة عسكرية عرفية، ثم مُساقاً الى غرفة الإعدام. وكان عليَّ أن أشغل نفسي بشيء وأنا أنتظر نهايةً لحياتي. وتشاء الصدف أن يكون أحد السجانين على إستعداد للمخاطرة مقابل شيء من المال بنقل رسائلي الى آل بيتي. فتقوم شقيقة لي بحزم كتابَيْن أو ثلاثة من مكتبتي على غير هدى وتبعث بها صحبة هذا السجّان. ولم تكن الرقابة دقيقة على مايبدو، فقد إستمرت الحال على هذا المنوال أشهراً بطولها.

ومن الكتب التي وصلتني دون يقين: مذكرات چلليني.

كنتُ قد إقتنيتُ هذه المذكرات ضمن مجموعة من الكتب أثناء رحلة لي الى لندن، ولم تُتح لي أشغالي وقتاً لمطالعتها وبقيت منعزلةً في أحد رفوف مكتبتي، مع العلم أنّ إقتنائي إياه لم يكن بمحض صدفة، فقد عرفت إسم الكاتب لماماً من خلال مطالعاتي في أسفار التاريخ لاسيّما تلك التي تتعلق بعصر النهضة العلمية الأوروپية المسماة بالرينسانس. وإسمه بين أولئك الفنانين والرسامين والمثّالين والأدباء الذين خلّدتهم أعمالهم الفنية، لم تخلُ أية موسوعة علمية أو دائرة معارف عامة مهما صغرت عن ذكرٍ له وتنويه بمذكراته الشخصية هذه بصورة خاصة.

ولا أطيل... ما أن أنهيت بضع عشرات من الصحائف حتى قررتُ البدء بترجمته والإسترسال فيها دون أن تصدّني عنها فكرة وقوفي على عتبة دار الأبدية في كلّ ساعة أو لحظة. وكان القلم والورق ميسوريْن ايضاً فشرعتُ في الترجمة، وهي تختلف عن المطالعة، لأنها تحول دون شرود الخواطر وتحثّ على التركيز الذهنيّ، وتطرد الأفكار السود والتأمل في المصير الذي يطارد المحكومين بالموت في كلّ ساعة ودقيقة ولا يقتضي له غير توقيع صغير على ورقة.

وجدتُ في ترجمة چلليني سلوى وعزاءً، فأقبلتُ بدأب وعلى ضوء المصباح الكهربائي الذي لايُطفأ قطّ وأنا بين أكثر من خمسة عشر محكوماً مثلي. وفيهم القاضي، والجنرال، والأستاذ الجامعيّ، والسائق، والجزار، والعريف، والسياسي المعروف والعامل البسيط. فتتداول الأيدي ما أنجزه ثم أقوم بإرساله الى الأهل.

ثمّ بلغتُ في الترجمة تلك المرحلة العصيبة التي مرّ بها (چلليني) سجيناً بتهمة ملفقة ايضاً... ومحكوماً بالموت ايضاً. ولاتسل عما إنتابني من شعور بل ما ساد شعور المحكومين الآخرين الذين تابعوا ترجمتي. أنّ رفيقاً لهم يترجم الآن بقلمه – وقبل أكثر من أربعة قرون عين ما تجيش بهم أنفسهم. وأكملت الترجمة في أشهر قلائل وإستقرت في أيدٍ أمينة بإنتظاري. ولم يكن الكتاب الوحيد الذي نقلته الى العربية خلال فترة السجن، فقد تلته كتبٌ أخرى تمّ طبعها فيما بعد مثنى

وثلاثاً.

إلاّ أنّ "چلليني" بقي مخطوطاً حتى هذه الساعة.

كان يختلف إختلافاً بيّناً عن الكتب التي ترجمتها أو قمتُ بتأليفها، وبالبديهة بل بالبصيرة كانت هذه السيرة أو المذكرات تتطلّب عناية خاصة جداً. فما نقلتُ عنه كان واحداً من المترجمات العديدة الإنكليزية. والمترجم الإنكليزي نفسه يعترف بالجهد الذي تكبّده في نقل بعض التعابير الإيطالية التي إستخدمها چلليني - ولاسيّما ما كان بلهجته الفلورنسية. ولما كانت معرفتي بالإيطالية لاتزيد عن عبارة "قتل زيدٌ عمراً"، فقد إقتضت منّي الأمانة أن أدور بحثاً عن كلّ ما أمكن الوقوف عليه من الترجمات الإنكليزية والفرنسية الأخرى لأضاهي وأقارن وأثبت الأدقّ والأقرب والأصوب بهمّة المنقّب الأركيولوجي. كما أوجبت على نفسي أن أغني الترجمة بالهوامش والتعليقات والشروح لما يغمض على القاريء العربي من التعريف بأسماء الأماكن والمشاهير الذين وردت أسماؤهم في المذكرات مستعيناً ايضاً بمثيلات لها في التراجم الأخرى أو ناقلاً لها. حتى إجتمع لي منها فيه ثلاثمائة وواحد وثمانون (٣٨١) تعليقاً وحاشية.

وكان عليّ أن أقوم ببحثٍ مماثل عن آثار هذا الفنان الأديب- العسكريّ. وإقتناء صور لها. فإلى جانب تمثال "پرسيوس" المعروض الآن ومنذ إقامته في الميدان الفلورنسي لوجيا دي لانزي Loggia dei Lanzi لملايين الأعين، هناك تحفٌ أخرى من صنع يده الحاذقة مبثوثة في عدة متاحف أوروپية.

وبقي هذا شغلي الشاغل وأنا أحمل المخطوطة معي. من الموصل الى بغداد الى كردستان الى طهران الى لندن، الى كاترينهولم (السويد) أخيراً.

وفي طهران حكمت الصدفُ وحدها أن ينشأ بيني وبين السنيور سوردو القائم بأعمال السفارة الإيطالية هناك نوعٌ من علاقة صداقة. وذكرتُ له يوماً ما ترجمتي هذه وحاجتي الى صور ورسوم لآثاره. وكان ممن يبرّ بالوعد. فقد أوعز لمعاونه السنيور (فاوستو) وهو صديق أيضاً- فتم تزويدي بكاتلوك رائع ضمّ كلّ آثار چلليني المعروفة بتصوير ملوّن متقن إضطلعت به الآنسة سوزانا باربالیا Susanna Barbaglia وأصدرته بعنوان "آثار چلليني الكاملة L'opera Completa del Cellini. ضمن مجموعة ريزّدولي الكلاسية- ميلانو ١٩٨١ وبدت الترجمة بهذا مهيئة تنتظر ناشراً.

من هو چلليني: (ملامح عصره)

ولد في العام ١٥٠٠. ودوّن مذكراته على فترات متقطعة خلال ثماني سنوات (١٥٥٨-١٥٦٦). وكان في الحادية والسبعين عندما ادركته الوفاة. ولم تطبع مذكراته هذه الاّ في العام ١٧٢٨. إلاّ أن شهرتها استطارت خارج ايطاليا في بداية القرن التاسع عشر عصر الأدب الرومانتي ومالبثت بعض عقود من هذا القرن، حتى إحتلت مكانتها الجديرة بها وعدَّها رجال الأدب والنقّاد أشهر مذكرات شخصية في عالم الأدب. واعظمها إثارةً وأصدقها خبراً.

تشيع في المذكرات روح الأنانية وحبّ الذات والتحدّي، إلاّ أنها تعطينا أدق ما وصل الينا من

تفاصيل واقربها الى القناعة وصفاً لأخلاق وتصرفات حكّام القرن السادس عشر في أوروبا- ملوكاً وپاپاوات وأمراء - وكذلك لحياة وعادات الرجل العادي وتصرفاته.

في ذاك المجتمع وجد چلليني آعداء له وأصدقاء من كلّ طبقة، فهو لايتركنا فترة من الزمن مهما صغرت إلا لنلتقي بتعاقب سريع أخاذ عبر صفحات مذكراته بأصحاب الحانات والفنادق وبنات الهوى، والتجار والعسكريين والساسة والموسيقيين والصنّاع ورجال الأدب والفن والأمراء والملوك والكرادلة وأحبار الكنيسة العظام. وفي هذا العالم الصاخب تجد (چلليني) سيد الميدان وبطل الحلبة الوحيد، يطاعن بالسيف او يرمي بالبندقية بالحذق والبراعة التي تعالج يده أدق التقاسيم في القطع الفنيّة الرائعة التي خلدت على مرّ الأجيال. وكل هؤلاء الخلق الذين تعامل معهم، نجدهم دائماً في الخلفية أو على الهامش إزاء شخصه.

مع هذا كلّه فبإمكان القاريء أن يتفهم شخصية چلليني وقصص مغامراته المثيرة وتقويمها دونما حاجة به الى كثير معرفة بأحوال مجتمعات القرن السادس عشر. فسيرته هذه وثيقة تاريخية باهرة الضياء، تلقي نوراً كاشفاً على أوضاع إجتماعية عديدة. كأحوال السجون في روما وتصرفات المبعدين السياسيين الفلورنسيين والستراتيجية المتبعة في حروب ذلك العهد وعلاقات الملك فرانسوا الأول بعشيقته (مدام ديتامپ)، وأصول المرافعات في المحاكم الفرنسية. وأساليب الأطباء في الإرتزاق والمعالجة. الخ.....

ونجد چلليني يتحاشى الحديث في السياسة أو زجّ نفسه في عبابها. ففنّه لا شأن له بها. رغم إن قلمه كثيراً ما كان يشتطّ به ويفلت منه زمامه بالتعليقات الذكيّة البارعة التي يُرغم عليها أحياناً- كحادث مقتل الدوق (اليساندرو مديتشي) بغضّ النظر عن ولائه لتلك الأسرة الحاكمة. فالخوض في السياسة كان سيلجئه الى الحيدة عن موضوعه الأساس وهو كتابة قصة حياته، وليس قصة الزمان الذي عاش فيه.

في حياة چلليني كانت الجمهورية التي أقامها الراهب الدومينيكي ساڤونارولا[1] قد اسقطت بحركة إنقلابية. واعيد آل مديتشي الى الحكم. ثم طُردوا ثم أُعيدوا ثانية. وفي زمن چلليني أصدر مواطنه الفلورنسي (ماكياڤيللي)[2] كتابه الشهير (الأمير) الذي أصبح إنجيل الساسة والحكام ومرجعاً يهتدون به ويطبقون نظرياته الى يومنا هذا. وشارك چلليني في الدفاع عن روما عندما ألقت جيوش الإمبراطور شارل الخامس (شارلكان)[3] الحصار عليها. كما تزعمت الپاپاوية حركة الإصلاح الديني

(١) في العام ١٤٩٤ تمكن جيامكومو ساڤونارولا (١٤٥١-١٤٩٨) من خلق جمهورية ديمقراطية. إلا أن الپاپا الاسكندر السادس جابهه بالحرم الكنسي في ١٤٩٥. لكن أعداءه تغلبوا عليه فسجن وحوكم وأُعدم شنقاً واحرقت جثته. واعيد آل مديتشي الى الحكم.

(٢) أصدر نيكولو مايكياڤيللي (١٤٦٩-١٥٢٧) كتابه الشهير هذا في العام ١٥٣٢. وقيل انه كتبه للمغامر العسكري چيزاري پورجيا. كان في خدمة جمهورية ساڤونارولا. وسجن عند عودة آل مديتشي وانقطع للكتابة بعد اطلاق سراحه.

(٣) ولد شارلكان في عين السنة التي ولد فيها چلليني وتوفي في ١٥٥٨. نُصب امبراطوراً في ١٥١٩. وتنازل عن=

المضادة التي تزعمها مارتن لوثر[٤]. وضجّت القارة الأوروبية على إثرها وبسببها بالحروب الدينية وحروب الوراثة، وفي عهده إندفعت جحافل الأتراك العثمانيين الى قلب أوروبا[٥]. وقبل أن يولد بستّ سنين فقط كانت سفن كريستوفر كولومبس مواطنه الجنوي تمخر عباب الظلمات (الأطلسي) لتؤدي به الى إكتشاف الدنيا الجديدة، وكان له من العمر ستّ سنوات عندما قام هذا المستكشف بآخر رحلاته[٦].

في ذلك الزمن تقوض صرح السلم في إيطاليا بغزوة شارل الثامن الفرنسي[٧] تلك الغزوة التي عجّلت برحلة الفكر والفن الإيطاليين وإنتشارهما في سائر البلاد الأوروبية، كما كانت هذه الحملة فاتحة النزاع المرير بين فرنسا وإسپانيا الذي امتد لهيبه الى كلّ جزء من القارة الأوروبية وطال أمده بالحملات العسكرية المتعاقبة العنيفة، ومنها حملة لويس الثاني عشر[٨] ثم حملة فرنسوا الأول[٩].

على إن إيطاليا بدويلاتها العديدة المستقلة، تحولت نهائياً لتدور في الفلك الإسپاني خلال فترة حكم هذا العاهل الفرنسي، بعد ان بلغت المنافسة بينه وبين شارلكان أوجها. كانت إيطاليا مجموعة (موزائيك) من دويلات مستقلة إستقلالاً مهدداً. وظلت حتى وفاة چلليني منقسمة الى امارات صغيرة وكبيرة. بينها مملكة الپاپا وعاصمتها روما. كانت فكرة الوحدة سابقة لأوانها يحول بين تبلورها السلطة الپاپوية وسلطة نواب الإمبراطور في كلّ من ناپُلي وميلان. وبعد عدة محاولات خائبة في فلورنسا لإقامة جمهورية ثابتة الدعائم، إستسلمت لحكم كوزيمو دي مديتشي الإستبدادي. وتوقف مدّ الإصلاح الديني السريع في الأنحاء الأخرى من أوروبا بسبب الحرب الدينية في فرنسا ومحالفة إسپانيا للپاپاوية ضد الإصلاح الديني بإجراءاته العنيفة القاسية ومحاكم التفتيش السيئة الصيت. وكلّ هذا مهّد السبيل الى قيام دول أوروبية قومية الطابع مستقلة تمام الإستقلال. وفي فرنسا لم تحل الحروب المكائد السياسية التي إعتمدها فرنسوا الأول دون توطيد ملكه وحصر السلطة في يده.

=الحكم قبل وفاته بسنتين. كانت امبراطوريته خلافاً للمستعمرات الأمريكية تشتمل على إسپانيا وهولندا وناپلي وصقلية والنمسا.

(٤) نشر مارتن لوثر (١٤٨٣-١٥٤٦) احتجاجه الشهير في العام ١٥١٧. وانكر في كتاب له عنوانه "نبل المسيحية عند الشعب الألماني" السلطة الپاپوية. وآل ذلك الى شق العالم المسيحي الغربي وعرف اتباعه بالپروتستانت اي "المحتجين".

(٥) في العام ١٥٤١ استولت جيوش السلطان سليمان القانوني (١٥٢٠-١٥٦٦) على بوداپست.

(٦) أولى رحلاته كانت في ١٤٩٢. وآخرها خلال (١٥٠٢-١٥٠٤).

(٧) (١٤٧٠-١٤٩٨). تولي الحكم في ١٤٨٣.

(٨) ولد في ١٤٦٢. وتولي الحكم في ١٤٩٨ وتوفي في ١٥١٥. لقّب بأبي الشعب اذ كان محبوباً وعرف بإصلاحات عدة في ميدان القضاء والأمور المالية إلاّ أنه اتجه الى التوسع الإقليمي بتجريد حملات عسكرية على الإمارات الإيطالية.

(٩) من مآثر فرنسوا الأول (١٤٩٤-١٥٤٧) اقراره اللغة الفرنسية لغةً رسمية بدلاً من اللاتينية وابرامه معاهدة الإمتيازات الاجنبية مع السلطان سليمان الأول القانوني.

محطماً نفوذ نبلاء الإقطاع بالتدريج ومجرّداً إياهم من كل سلطة. وبرعايته وحمايته الفعالة لصغار النبلاء وماليي وتجار الطبقة الوسطى، واتباع سياسة الترفيه وتوفير اسباب العمل بحرية، ضمن السبيل الى التقدم الفكري وفتح ابواب فرنسا لحركة البعث المسماة بالرينسانس.

ولم يكن دور چلليني في حروب جيله بالقليل. فقد استخدمه البابا كليمنت السابع آمر مدفعية اثناء حصار روما. وساهم في اقامة استحكامات پاريس وفلورنسا. إلاّ آن شحة النقد في خزانة البلاط الفرنسي كانت بالنسبة اليه أهم من كل هذا. ونذالة الراهب اللوثري السجين معه في قلعة سان انجلو اهم عنده من حركة الاصلاح الديني. ومن كل ما هو في عرف السياسي نظر المؤرخ والقاريء بسنوات حاسمة في التاريخ كالعام ١٥١٩ مثلاً وهو عام إنتخاب شارل الخامس امبراطوراً. والعام ١٥٢٠ عام صدور قرار الحرم بحق (لوثر) والعام ١٥٣٤ عام إنفصال كنيسة إنگلترا عن العالم الكاثوليكي وعام ثورة الفلاحين في ألمانيا ١٥٢٥، والعام ١٥٤٢ عام إنجاز ماجللان البرتغالي طوافه حول العالم. وعام إستيلاء الأتراك على بوداپست. وأخيراً فتح آبواب الأمريكتين للهجرة الأوروپية. كل هذا وغيره لايستدعي منه إلتفاتاً ولايبدو مهماً بالمقارنة الى وصف إنتصاراته الشخصية ومتاعبه ومغدوريته.

قضى چلليني السنوات التسع عشر الأولى والسنوات الست والعشرين الأخيرة من حياته في فلورنسا. وفي العام ١٥١٩ شدّ الرحال الى روما وإستقرّ فيها بإستثناء زيارات متباعدة لفلورنسا وفترة رحلته الخائبة الى فرنسا خدم خلالها البابا كليمنت السابع ثم البابا پولس الثالث (بين ١٥٢٣- ١٥٤٠). وشهدت له مذكراته على تعلقه الشديد بموطنه. وفي روما كان الفلورنسيون أقرب أصدقائه وأعزّهم وبقي على صلة وثيقة بالمغتربين منهم في كلّ من پاريس وروما. وإجتذبته فلورنسا أخيراً اليها قبل نهاية حياته بزمن طويل فعاد اليها. ومع انه كان يشكو بحرقة من وضعه ويعبّر عن حنين للعودة الى البلاط الفرنسي يحمله على استذكار خدمته لفرنسوا الأول معتبراً اياها الفترة الذهبية في حياته- لم يكن هذا في الحقيقة غير الشعور بالخيبة وبعامل التقدم في السنّ.

إلا أن تعلّقه بمدينته لم يحل دون هروبه عندما هاجمتها جيوش الإمبراطور انتصاراً لآل مديتشي وبهدف اعادتهم الى الحكم. وهروبه هذا يشبه هروب ميكالنجلو منها. يقول ڤاساري[١٠] بمناسبة كتابة نبذة عن حياته: "ترك فلورنسا الى البندقية سراً ضماناً لسلامته".

وما من شك في ان چلليني كان مديناً لآل مديتشي بأكثر مما هو مدين لحكومة الجمهورية، ففنّه وخلقه تكاملا ونشآ في ظل بلاط المستبدين من الحكام. في بلاط دوق فلورنسا الأكبر الطاغية (كوزيمو) الذي لاتداخل قلبه رحمة وفي ظلّ سلطان روما الپاپوي الذي لايعرف حدوداً وفي بلاط پاريس وحكم الملك المطلق.

بنظر چلليني ان هؤلاء الحكام هم فوق القانون بفضل سلطانهم المطلق مثلما كان يعتبر نفسه فوق القانون بسبب عبقريته ومواهبه. على ان مواقفه الجريئة منهم، بل البطولية احياناً، كانت تجعل اولئك

(١٠) سيرد الحديث عن هذا الكاتب فيما بعد.

الحكام أشبه بالأقزام امامه. واعتداده الفائق الحدّ بنفسه وتمجيده لها وايمانه الراسخ بأنه يملك من المواهب ما لايملكها أولئك، يتسق اتساقاً تاماً والأسلوب القوي الهجومي الذي انتهجه في كتابة سيرة حياته.

المذكرات

يتفق النقاد والأدباء بأن سيرة حياة چلليني هي أثر فنيّ عظيم رائع. وكذلك هم يتفقون على أنه خلق اثره هذا دون ان يدرك نفاسته وقيمته. ومع انه كان يطلق لقلمه العنان ويرسل القول ارسالاً دون خطة مسبقة او اهتمام بالصقل والتهذيب، فإنّك لاتجد ذلك يستقيم مطلقاً وعنايته الظاهرة بحصر مادته الكتابية وسبك حكاياته وفق الضوابط والقواعد الكلاسية التي جرى عليها أسلافه من الكتّاب. الى جانب حرص فيه على تقويم لغتها بمعرفة لغوي خبير حيثما تيسّر له ذلك.

وقد بدا منها قارئاً متتبعاً لآداب العصر الى درجة كبيرة، ومثقفاً بتمام ادراك بالمستويات الأدبية الرفيعة التي قوّم أسسها اصدقاؤه ومعاصروه.

ويتفق المتأدبون مواطنوه، مع رجال القلم الآخرين وسائر مترجميه الى اللغات الحيّة – ان اسلوبه فريد وحده – مثل شخصيته. ففي محاولته تحرّي الدقة فيما يصف– تجده يلجأ الى الترديد والتكرار الذي يلازم الحديث الإعتيادي. وفي المذكرات فقرات طويلة تتعاقب جملها بالشكل والمنوال والنسق كتعاقب الجمل في وثيقة قانونية. هناك فقرات أخرى لاتجد فيما بينها رابطة سياق، تفاجئك من حيث لاتدري. وهناك مواقف عديدة تري چلليني الكاتب عاجزاً عن ضبط نفسه أو إخفاء إنفعاله. فيندفع ولا يقتصد في إستخدام تعابير سوقية، كثيراً ما إعترف المترجمون بأنها بالغة التعقيد تستدّق على الفهم أحيانا.

لكن چلليني هو أبداً الراوية البارع المدرك الحبكة القصصية بكلّ ألمعيّة وذكاء فيه. وبميزان قلّ أن يخطيء للشخصية التي يتصدى لها. يعرف جيداً كيف يتحرك بلباقة ورشاقة، متنقلاً بين الهزل والجد. وبين التندّر والتأسي. وكل القصص التي جاءت في السيرة. بدءً بإنجيليكا والجنّ. ومروراً بمصرع شقيقه وهروبه من سجن القلعة وإنتهاءً بالعدالة التي إقتصت من (لويجي پولچي)، تكشف عن حساب دقيق لعامليْ التشويق والإنفعال اللذين يتخلفان في نفس القاريء. ثم هناك وصفه المثير لمقابلته السيدة الرومانية پورشيا، الذي يكشف عن رقة مدهشة للأسلوب والخلق اللذين يبرزان في المذكرات اكثر من مرة. هناك ايضاً وصفه الرائع في حكاية الپاپا كليمنت وهو على فراش الموت عاجز عن رؤية الميداليات التي صنعها له وكيف صار يتلمسها بأصابعه ويتنهد تنهيدات عميقة. هذه القصة بحدّ ذاتها تحدثنا عن پاپوية عهد الرينسانس قدر ما يحدثنا عنها تاريخ مفصّل.

والى كل أنانيته وحبّه لذاته. فقد كان على قدرٍ ما من الإهتمام بالآخرين كاف لإعترافه بفضائل ومزايا من إعترض سبيل حياته. فأبوه الشديد الحبّ والرعاية لأولاده، بحديثه المثقل بمقتبسات من الكتاب المقدس، وحالته وهو شاب خاطب يد زوجة المستقبل. وغرامه بالموسيقى، بأفكاره الخاطئة وسعة حيلة وهو في سنّ متقدمة الى جانب الصبي الأسپاني (دييگو) الجميل، والساعي المراوغ

(بوسباكا) و(تريبولو) الرعديد، ومحافظ القلعة المصاب بداء انفصام الشخصية، تمثل فحسب طائفة قليلة من الشخصيات ذوات الأدوار الصغيرة في المذكرات. لم يبخل چلليني عليها بإظهار الجانب الطيب فيها.

ويُحسد حقاً على طول باعه في القدح والهجاء، يقابله اقتناص ذكي للفكاهة كلما عنّت. لما طفق (تريبولو) خلفتُه يشتكي منه وهما في رحلة العودة من البندقية، غلب على چلليني شعور بالتندّر لاقبل بمقاومته، لينقلب أحياناً الى تهكم وسخرية. وفي اكثر الأحيان الى إنفجار صاعق يتحول الى كآبة. وعلى سبيل الفكاهة تراه يلجأ الى التورية واللعب بالألفاظ فيعبث بإسمه وبإسم (فليچي كْوادِيني) وبإسم (دورانتي). ويثير الأطباء بكوامن سخريته اللاذعة ك(پانگلوس) الذي "فقدَ عيناً واحدة فقط وأذناً واحدة بنتيجة المعالجة" وك(چلليني) نفسه الذي "تطبب بكلّ شيء يعرفونه وبقيت حالته تزداد سوءً يوماً بعد يوم"!

ولحسن الحظ وصلتنا المذكرات كما دوّنت. دون نقصان أو رمج أو خَرم أو عبَث. بدأ چلليني يكتبها بخط يده ثم عدل في سنواته الأخيرة ربما لقلة صبر على الكتابة، فصار يمليها على صبيّ في الرابعة عشرة. وكان معظمها بخط يد هذا الكاتب خلا صحائف قلائل لكاتب آخر.

وفي العام ١٥٥٩ أرسل المخطوطة الى صديقه الأديب (بنديتو ڤاركي) لمراجعتها لغوياً وتصحيحها وفقاً لما طلبه منه. فلم يفعل بل ذيّلها ببعض الملاحظات وأجرى تصحيحات طفيفة ثم ردّها اليه.

رحلة المذكرات والتراجم:

چلليني مدين بخلوده الى هذه المذكرات أكثر بكثير مما تركه من آثار فنية. وقد تقلّبت عليها صروف من الدهر كادت تفقدنا إياها. ظلّت هذه المخطوطة في حوزة آل كاڤالكانتي Cavlcanti حريصة عليها طوال القرن السابع عشر ثم إنتقلت الى المكتبة اللورنتية الجديدة ويرى في فهرست المكتبة هذه العبارة حولها: كتاب اندريه دي لورنزو كاڤالكانتي dé lebri di Andrea de Lorenzo Cavalcanti). ويشهد على اعتزاز (اندريه) هذا بالمخطوطة وحرصه عليها مادوّنه ابنه (لورنزو ماريا) على صفحة بيضاء منها. فقد كتب:

> "كان ابي السنيور اندريه كاڤالكانتي صاحب الذكرى الغالية عندي يُنزل هذا الكتاب في نفسه أرفع منزلة. فلم يسمح لأحدٍ بإستنساخه ولم يحوّله عن موقفه هذا الطلبات المتكررة والرجاء الملحّ الذي جاءه من صاحب السمّو والنيافة الكلّي الإحترام الأمير الكردينال ليوبولد أمير (توسكانيا)".

إلاّ أن (لورنزو) بالأخير نزل عن المخطوطة الى دار النشر الإيطالية "ريدي Redi" فطبعت منها طبعة رديئة غير منقحة في العام ١٧٢٨[١١]. بعد هذا لقيت المخطوطة الأصلية مالقيت من تصاريف القدر

(١١) ورد في ترجمة فرنسية للمذكرات، نقلاً عن طبعة إيطالية حديثة ان النسخة التي اعتُمدت في هذه الطبعة نقلت عن المخطوطة الأصلية نقلاً سيئاً بقلم نسّاخ مجهول قليل الإلمام باللغة.

العجيبة وإختفت مراراً في رفوف المكتبات. ثم ظهرت عند الورّاق (چكينو دال سيمينارِيو Cecchino dal Simenario). اذ عثر عليها عنده واحدٌ من جمّاعة الكتب فإبتاعها وأوقفها بعد وفاته على مكتبة (مديتشيا لورنزيانا) وهي التي نقل عنها النص الإيطالي المعتمد وسائر الترجمات الاخرى.

في العام ١٧٧١ ظهرت لها ترجمة انگليزية من عمل (نوجنت N. Nugent) واجتذبت انظار الكاتب والشاعر الالماني الكبير "ولفگانگ گوته"[١٢] فقام باول ترجمة لها الى الالمانية وهو شرف عظيم لم تنله مذكرات قبلها او بعدها ينيله واحد من اعظم القصصيين والمفكرين العالميين- وكان ذلك في العام ١٧٩٦.

وظهرت اولى التراجم الفرنسية لها في العصر الرومانتي وذروة الحركة الرومانتية في العام ١٨٢٢.

في هذا العام بالذات ظهرت بالإنگليزية ترجمة جديدة للكاتب الاديب توماس روسكو. واعقبتها ترجمة ثالثة لسايموندز G.A.Symonds بفاصل اربعين عاماً عن روسكو Thomas Roscoe. وفي العام ١٩٠٣ اصدرت الآنسة مكدونل Macdonell ترجمة رابعة محكمة. واوضحت في مقدمة لها وجه امتياز ترجمتها على باقي التراجم الاَخرى ببعض اوجه المقارنة والمضاهاة. ومما قالته في هذا الصدد:

"انه لسوء حظ كبير لشهرة چلليني في إنگلترا وخسارة لاتُعوض في عالم الأدب هنا إن بقيت مخطوطة مذكراته منسية قابعة في رف إحدى المكتبات الإيطالية طوال قرنين. وها نحن أولاء في عصرنا الجليل عصر الترجمة والنقل الذي اتحفنا بترجمة (فلوريو) لمونتين، وترجمة سير بلوتارك لـ(نورث). في هذه المنقولات يتجلي المثال الدقيق والمظهر المتقن لأساليبهم البليغة المشرقة ووصفهم الرائع. وقد فقدنا هذه الملامح كلّها. فقدنا فنّهم الجذاب وبساطتهم في التعبير وقلة إحتفالهم بالجزئيات والتفاصيل وفقدنا حذرهم من الدقة الرتيبة. فهم يكشفون عن عبقرية خاصّة سلسة تضاهي الأصل بقوتها".

ثم تنتقل الى مدرسة المترجمين الإنگليز الحديثة والى التراجم التي سبقتها من چلليني فتقول:

"والمقاييس- إن كان ثم مقاييس في الترجمة- تختلف إختلافاً بيناً. فهي عملية المنحى دقيقة اللغة لاتتوخى الفن ولاتُعنى بجمال الأسلوب، ومع نفاستها وقيمتها في معظم الأحيان توهم المرء بأنها لم تُعمل لخدمة الأدب قدر ما عُملت لتوضع أمام عينيّ الناقد المدقق. وفي الترجمتين اللتين سبقتا ترجمتي لمذكرات چلليني- حسناتٌ وميزات لاتمتُّ الى الصنفين من الترجمة اللتين أتيت الى ذكرهما. فترجمة (نوجنت) ترجمة تكاد لاتعدُ الآن من الترجمات المعتمدة. وأمّا (روسكو) فأسلوبه ذو طابع

(١٢) مازالت ترجمة گوته (١٧٤٩-١٨٣٢) افضل التراجم واحبّها الى الالمان رغم صدور ترجمات اخرى لها، بسبب الاسلوب الرائع الذي نقله بها. رغم ان بعض النقاد كانوا يجدون فيها ثغرات. (يعرف قراء العربية هذا الاديب الكبير من ترجمة لـ(فاوست) و(آلام ڤرتر) و(الديوان الشرقي للمؤلف الغربي)". هذا وقد طبعت ترجمته هذه عدة طبعات وبقيت لها مكانتها في عالم الأدب الالماني.

خاص قد لايبدو في أحيان كثيرة سلساً جذاباً وهو عموماً لايرضي أدنى معايير الدقة والأمانة. وقرّاء الإنكليزية مدينون لسايموندز بالكثير شأنهم في ذلك شأن من عقبه من المترجمين. وعليّ أن أقرّ هنا بفضله شاكرة. وترجمته ليست بحاجة الى إطراء. إذ ما على المرء إلاّ أن يضطلع بما أنجزه من عمل ليتبين مبلغ أمانته في النقل مع طول معاناة وكَلَفٍ بتحري الدقة التامة بكلّ ما تقتضيه من جهد. فإذا ما وجدته مخالفاً غيره في ترجمة عبارة فثق انه ما تقصد ذلك إلاّ بعد تفكير طويل وتقليب وجوه الرأي وتغليبه بتأمل وبحث شاق. وليس في وسع مترسم خطاه ان يكون مهملاً قليل الإحتفال بالتفاصيل. بيد أن الأسلوب العصري لايخلو من نقائص وعيوب لايستطيع أيّ منا ان يتحاشاها. فالحرص العظيم على إيلاء كلّ فقرة ماتستحقّ من عناية تدعو الى إنتقاء تعابير لغوية خاصة. ويتطلب منا تقريب اللغة الدارجة في ذلك العصر الى مفهوم عصرنا فضلاً عن المصطلحات اللغوية الأجنبية. وربما امتازت ترجمة (ألكساندر سايموندز) بتلك الجاذبية التي تشيع من كلّ آثاره، لاسيما تلك التي تتناول بلاط أمراء إيطاليا. فچلليني سايموندز هو چلليني زائداً صفة أخرى تكسو تلك المذكرات حلّة أكثر بهاء وإشراقاً من النص الإيطالي بما يتخلله من تعابير سوقية كثيرة."

هذا جملة ماقالته الانسة آن مكدونلّ في صدر ترجمتها. وهي الترجمة التي اعتمدتها انا اصلاً. ثم وقعت بيدي بعدها ترجمة اخرى لروبرت كوست Robert Cust نشرت في ١٩١٠ ثم ترجمة أخيرة تمّت في العام ١٩٧٢ لروبرت بالديك Robert Baldick. وقد افدت من كليهما ايضاً فضلاً عن الترجمة الفرنسية التي أشرت اليها لاسيما بخصوص فترة بقاء چلليني في خدمة الملك فرانسوا بپاريس. واليك ماقاله المترجم اوجين پلون Eugéne Plon عنها:

"لهجة چلليني، هي لهجة فلورنسا. نقية للغاية، خالصة أصيلة تشيع في جوانبها روح فكاهية تتحدّى الترجمة احياناً."

ويتحدث بالديك عن ترجمته (هي الأخرى من سلسلة التراجم بحسب علمي ومتابعتي):

"حاولت في ترجمتي إبراز فخامة الأصل وتنقلاته المتعددة في اللهجة وسرعة الحركة. وصعب عليّ مجاراة اوصاف چلليني وتعابيره الدارجة في صبّها بقالب انكليزي. ولم يكنم ثمّ بدّ والحالة هذه من ضياع كثير من شتائمه واوصافه الشنعاء. ولم اتردد في تقصير الفقرات وتقطيعها لازالة الغوامض حيثما امكن..."

كان عليّ بعد هذا- وقد بقيت ترجمتي لاتفارقني- ان اتفهم تلك التعابير الدارجة والشتائم عن طريق المقارنة والمضاهاة بين ستّ تراجم اجتمعت لي خلال ذلك لأجد لها أقربها في لغة الضّاد. وقد افدت بالكثير منها مثلما افاد مترجمو چلليني الذين سبقوني أحدهم من الآخر.

چلليني: (آخر سني حياته) ومكانته الفنية:

تنقطع المذكرات بصورة مفاجئة. وتختم بهذه العبارة "ثم انطلقت الى پيزا". هذه العبارة دونت في صدر صحيفة بيضاء لاتحتوي على كتابة أخرى. وانه لدليل على أن چلليني كان عازماً على الإستمرار. وقف بقصة مغامراته ووقائعه وأعماله حتى العام ١٥٦٢ مؤكداً في فاتحتها بأن الغرض الذي توخاه منها هو "رفع شكره لله فحسب" إلاّ أنه كان يكتب ويملي وعينه يقظة على جمهور قرائه. وما مذكراته هذه إلاّ دفاعاً عن نفسه وتزكية لمواقفه الحدّية الجريئة. اراد أن يثبت للدنيا ايّ معدن من الرجال الصناديد كان وأي مبلغ من العبقرية الفنية بلغه.

كان چلليني في الثانية والستين عند إنقطاعه عن الإسترسال في التدوين. وقد أخرجت يداه افضل آثاره الفنية. وهو معتلّ الصحة في أغلب الأحيان، يشكو بعض العسر المالي وقد إستقرّ نهائياً في فلورنسا. ولذلك وبسبب ما عُلم عن حياته الأخيرة- لنا أن نستنتج بأنه لو واصل الكتابة بعد العام ١٥٦٢ فكلّ مانظفر به سيكون عرضاً مملاً وشكوى ممضة للمعاملة السيئة وسوء الحظ الذي لازمه دون ان يستحقه.

في العام ١٥٥٤ وضع اسمه رسمياً في قائمة طبقة نبلاء فلورنسا. إلاّ انه قضى ردحاً من الزمن في السجن لإعتدائه بالضرب على احد زملائه الصاغة ويبدو انه قضى فترة سجن اخرى بتهمة ممارسة فعل مخلّ بالآداب مع أحد مساعديه الصبيان. وفي العام ١٥٥٨ قبل نذره بالترهب. ولم يعتم إلاّ وطلب حلّه من الواجبات التي يفرضها هذا النذر فأُجيب الى طلبه.

وبعد سنوات قلائل عقد زيجته بالمرأة المدعوة (پييرا سلڤادوري پاريچي Piera di Salvadore Parigi) ثم بدأ بكتابة رسالته في النحت والصياغة المسماة تراتاتي Trattati. وفي العام ١٥٦٤ انتخب عضواً في الوفد الرسمي لحضور تشييع جنازة (ميكالنجلو) وتأبينه- وكان الوفد يضمّ خلافه كلاً من (برونزينو، وڤاساري وآمّاناتي) إلاّ أن مرضه الذي اشتد عليه اقعده عن المشاركة.

لم يقنع چلليني بأن يكون أباً لثمانية أولاد شرعيين وغير شرعيين من صلبه. ففي العام ١٥٥٦ تبنى رسمياً إبناً لإمرأة اسمها (دوروثيا) كان يتخذها نموذجاً له بمعرفة زوجها (دومينيكو پاريچي) ابيه الحقيقي. ولمّا لم يعش اي واحد من أولاده فقد قرر أن يجعل الصبي المتبنّى (انطونيو) وريثه. إلاّ ان ظنه فيه خاب. إذ لم يكن يسوى شيئاً. كما راح الأب الحقيقي يثير له المتاعب بالتدخل في شوون التبني، فحرمه چلليني من الميراث لكنه اضطر الى دفع نفقة إعاشته حتى أدركته الوفاة بمرض ذات الجنب.

كان في العام ١٥٧١. ودفن بإحتفال مهيب في كاتدرائية الأنونزيانا. وكرّم الفلورنسيون ذكراه. مثلما قدّروه حق التقدير في حياته بوصفه أحذق من عرفه العالم في فن الصياغة والتكفيت. وان إنقسمت آراؤهم في حينه حول كفاءته وعبقريته كمثّال. والحكم الحديث على هذا الفنان من هذه الناحية قد يكون اضيق من ان يحشر في زمرة المثّالين العظام أمثال ميكالنجلو ودوناتللو.

مهما يكن من أمر فمن الأغراض التي توخاها بكتابة مذكراته هي تزكية نفسه كفنّان. إن تعلقه الشديد بالجمال- ولاسيما جمال الإنسان وواكبته لحاجة ورغبة جائحة في تحقيق الصعب من الفن كما بلغت به الأوج في فنّ الصياغة. كان يكتب عن فنّه كأنما يكتب عن عشيقة متولّه بحبها، أحياناً يخونها (مثلما حصل أثناء حصار قلعة سان أنجلو) عند مثار النقع وفي دخان المدافع وقصفها ولعلعة الرصاص وقراع السيوف أثناء المعارك ضاعت منه تصاميمه ودراساته وموسيقاه الرائعة... كانت الحرب والقتال متعة روائية له واثراً رائعاً من آثاره.

يعدّ چلليني نفسه تلميذاً أميناً لـ(ميكالنجلو بوناروتي) العظيم. مردداً ذلك دون كلل أو ملل معدّداً أفضاله، وكم هو مدين له. بقوله "من ميكالنجلو العظيم ومنه وحده وليس من غيره تعلّمت كلّ ما أعرفه". وبالفعل كان تأثير هذا العبقري الخالد في أسلوبه قوياً ومتواصلاً اثناء وجوده معه في روما وفلورنسا. وقد بدا هذا التأثير بأجلى صوره وبصورة خاصة في أشهر أثرين له هما "المملحة الذهبية" التي صنعها لفرنسوا الأول والقاعدة التي نصب فوقها تمثال (پرسيوس).

ان تقدير (چلليني) المفرط لعبقريته لايمكن رفضه لمجرد صدوره من إنسان طُبع على الخيلاء والإعجاب بالنفس. فقد أقرّ إثنان من كبار أدباء وخبراء عصره بمكانته في عالم الفنّ، هما (ڤاركي) و(جيورجيو ڤاساري). قال هذا" انه صنع ميداليات فاق بها الأقدمين، وهو اشهر صائغ في عصره ومثّال يُشار اليه بالبنان".

ولدينا شواهد أخرى على هذه العبقرية في الصياغة وصناعة الميداليات فضلاً عن المملحة الذهبية. فهناك المسكوكات النقدية والميداليات التي صنعها للپاپا كليمنت السابع وللدوق أليساندرو دي مديتشي وفي دراساته التخطيطية لعروة زنّار الپاپا وفي طبعات أختامه المختلفة. لكن مسألة مكانته في عالم الفن بقين بالأخير تدور كما أراد هو نفسه حول آثاره كمثّال.

في الوقت الذي حلّ چلليني في پاريس (١٥٤٠) كان التأثير الإيطالي قوياً في مجال الفنّ. وبدا له وكأنه قادر على إستخدام سخاء فرنسوا وكرمه الذي فاق الحدود لعرض مواهبه كمثّال. وكانت أعماله المنجزة في (فونتنبلو) نموذجاً للأسلوب المعروف بالمانرزم Mannerism[١٣] وقد ساهم چلليني في إنشائه مساهمة بارزة ولاسيما في تفاصيله ودقائقه الفنية التي اتاحت له ابراز براعته التكنية وفق نهجه الخاص. فتمثال (مارس) العملاق الذي تحدث عنه في المذكرات إنما ينمّ عن رغبته الشديدة في إنجاز أثر بالغ الجرم والضخامة يلفت اليه الأنظار ويثير العجب والدهشة. إلاّ أن أثره الباقي من اسلوب المانرزم هو (حوريّة فونتنبلو) المعروض الآن في متحف اللوڤر.

وكان چلليني عند عودته الى فلورنسا قد عقد العزم على ان يثبت للفلورنسيين بأنه أصبح مثالاً

(١٣) يطلق على الأسلوب الفنّي والمعماري الذي تخلل أسلوبي الرينسانس والباروك. كانت بولونيا وفلورنسا وروما مهده ومواضع نشأته وتطوره في اوائل القرن السادس عشر وشاع امره وازدهر طوال ذلك القرن حتى نهايته. ويتميز بتصوير دقيق المعالم لأوضاع الجسم البشري مع تآليف متحاشدة متساوقة وهو بمثابة ردود فعل مضادة لمباديء وانماط الرينسانس الكلاسيّة.

فريداً يشار اليه بالبنان. ومن آثاره الباقية لهذه الفترة تمثال (پرسيوس) البرونزي. والكلب السّلاقي، وتمثال كوزيمو النصفي وكلاهما معروض في المتحف الوطني. وتمثال (بنَذو آلتوڤيتي) النصفي في الولايات المتحدة. (متحف إيزابللا ستيوارت گاردنر في بوسطن). والصليب (في الاسكوريال بإسپانيا).

ومايزال حكم (سايموندز) عليه في هذا الصدد مقبولاً عند دائرة واسعة من خبراء هذا الفن. وهو ان چلليني مَلَك مواهب الفنان المحترف الكاملة إلاّ انه يفتقر الى خيال الفنان الملهم. ولذلك خلت آثاره من العمق والجلال والتناسق.

وفي أيامنا هذه، وبالتأكيد على أن من حقّ أسلوب المانرزم في الأداء الفنّي- أن يعدّ نمطاً فنياً ذا طابع مميز لا فنّاً ثانوياً عادياً. صار الناقدون وخبراء الفنّ يدرجون (چلليني) في عداد مشاهير المثّالين ويقومون آثاره تقويماً عالياً.

عن أسرة مديتشي:

إرتبطت حياة چلليني وحظوظه وأسباب شهرته بل ومتاعبه بهذه الأسرة الشهيرة التي حكمت فلورنسا. وقد رأيت أن لا أختم هذه المقدمة إلاّ بعد عرض نبذة قصيرة عن هذه الأسرة.

إنها أسرة إيطالية من الماليين والمصرفيين والأمراء ورعاة للفنون حكمت دويلة فلورنسا بصورة مستمرة تقريباً من حدود العام ١٤٢٠ حتى ١٧٣٧. وأنجبت مما أنجبت أمراء للكنيسة (كرادلة). وپاپاوات ثلاثة هم الپاپا ليون العاشر (١٥١٣-١٥٢١) وكليمنت السابع (١٥٢٣-١٥٣٤) وليون الحادي عشر (١٦٠٥). وملكتين لفرنسا هما كاترين دي مديتشي (١٥١٩-١٥٨٩) زوج هنري الثاني. وأم ثلاثة ملوك (فرانسوا الثاني، شارك التاسع، هنري الثالث). وماري دي مديتشي (١٥٧٣-١٦٤٢) زوج هنري الرابع الفرنسي وام لويس الثالث عشر. اقام اركان هذا البيت (جيوڤاني دي بتشي دي مديتشي) (١٣٦٠-١٤٢٩) وأمّره على فلورنسا ابنه كوزيمو الاول (١٣٨٩-١٤٦٤). الذي كان يحكم فلورنسا فعلياً منذ العام ١٤٣٤. ونظراً لما اتصف به من خصال كريمة، خصّه الفلورنسيون بعد وفاته بلقب (أبو البلاد) وقد امتاز بثقافة عالية وبحبّ العلم والمعرفة وإهتمام ورعاية لأهل الفنّ من أمثال (دوناتللو) الشهير. وهو الذي أسس المكتبة اللورنتية العظيمة في فلورنسا. ومنهم حفيده لورنزو الأول (١٤٤٩-١٤٩٢) الذي لهج چلليني بذكره وأكثر إشتهر بلقب الممتاز او المفخم بوصفه أشهر امراء إيطاليا وأعظمهم شأناً في عصر الرينسانس Reaissance. وكان هو نفسه من الشعراء المجيدين. رعى كلاً من الرسام الشهير بوتشيللي، وجيرالانديو والشاب الموهوب "ميكالنجلو" وغيرهم من الفنانين الكبار وبسط عليهم حمايته.

في العام ١٤٩٤ طُرد ابنه پييرو (١٤٧١-١٥٠٣) من فلورنسا على إثر الثورة الشعبية التي تزعمها الراهب الدومينيكي (ساڤونارولا) إلا أن الأسرة مالبثت ان اعيدت الى الحكم في العام ١٥٢١ بشخص لورنزو الثاني (١٤٩٢-١٥١٩) بقي منذ ١٥١٣ تحت وصاية عمّه جيوڤاني الذي

أصبح فيما بعد پاپا بإسم ليون العاشر.

مما يذكر عن لورنزو هذا ان ماكياڤيللي اهداه كتاب "الأمير". وانه كان ضعيف الإرادة "نكرة" خامل الشأن. لم يكلّف ميكالنجلو نفسه عناء اتقان صورته وإعطاء شبه حقيقي له في التماثيل التي صنعها له وهي قائمة الآن في كنيسة دي مديتشي. مصرحاً بأن لا أحد سيتذكرها او يتذكر صاحبها بعد قرنٍ من الزمن!

واجتهد خلفه كوزيمو الثاني (القاسي) ١٥١٩-١٥٧٤ بتوسيع رقعة دولته الى الضعف وجعلها من الدول التي يحسب لها الحساب. واعلن دوقاً اكبر على توسكانيا في ١٥٦٩.

لم ينبه شأن احد من امراء آل مديتشي الذي عقّبوه ولم يسجّل لهم التاريخ مأثرة تذكر. ومات خطّ الأسرة بوفاة جيان گاستوني دي مديتشي (١٦٧١-١٧٣٧).

تفخر مدينة فلورنسا اليوم بالآثار الفنية التي خلفتها هذه الأسرة.. وتجتذب اليها مئات الألوف من السياح وعشاق الفن.

جرجيس فتح الله

بِنْڤنوُتو چِلليني

ولد في فلورنسا في الثاني عشر من تشرين الثاني للسنة (١٥٠٠). ونال شهرة عظيمة وذاع صيتهُ نحاتاً وفناناً في شغل المعدن. وكان مختصاً بالپاپا وبعدد من الأمراء والملوك. توفي في مدينة فلورنسا في الرابع عشر من شهر شباط للعام ١٥٧٢.

نصّ رسالة بنڤنوتو چلليني الموجهة الى (بِندتّوڤاركي Benedetto Varchi) مع قسمٍ من مخطوطة مذكراته.

"يقول سيادتك. إن قصّة حياتي البسيطة وهي في هيئتها الأولى، تعجبك وانت تفضلّها أن تبقى كما هي ولاترى ان يتولى آخرون صقلها وتهذيبها لأن الحقائق التي دوّنتها قد يُطمس وضوحها.

لقد حرصت الاّ أذكر أمراً في نفسي منه شك، أو يشوبه نسيان. وثق اني مادوّنت غير الواقع. ولهذا أغفلتُ حوادث كثيرة عجيبة قد تحتل مركز الصدارة عند غيري. كما أسقطت وقائع عظيمة خطيرة لاتحصى خشية أن أبلغ بالمذكرات مجلّداً ضخماً وللسبب عينه أسقطت بعض صغائر الأحداث. وها أنذا أبعث إليك بخادمي لتسلّمه المحفظة والكتاب ويغلب على ظنّي أن ضيق وقتك لم يتسع لقراءة الكتاب كله. على أني لا أرغب في أن أثقل عليك بشيء تافه كهذا، بعد أن ظفرتُ منك ببغيتي ورضيتُ بالذي ظفرتُ. فشكراً لك من أعماق قلبي. لذلك أرجو منك ألاّ ترهق نفسك بمطالعة المزيد منه، وأن تُعيده اليّ بجملته وتستبقي القصيدة لأني طامع في أن يُجري مِبردُك العجيب بعض الصقل والتهذيب فيها.

سأقوم بزيارتك في القريب العاجل. وسأبقى دائماً رهن إشارتك على قدر ماتسعفني قواي ومواهبي. وأرجو لك دوام العافية ولاتحرمني لطفك."

فلورنسا في ٢٢ أيار ١٥٥٩

حاشية: لو تطلف سيادتك فخصّ أخي الصغير بشيء من فضله وجعله في ذاكرته فسأبقى أسير كرمك منتظراً اوامر سيادتك.

بنڤنوتو چلليني

القصيدة الفاتحة

من نظم

بنڤنوتو چلليني

هذه هي قصة كفاحي في الحياة،
أنشرها هنا شاكراً ربّ العالمين الذي مازال يرعى روُحاً نفخها في جسمي.
فبإرادته عزَّ وَجلّ بقيت حيّاً، أسيئةً كانت أعمالي أم حسنة.
عبثاً حاولت الأقدار القاسية النيل منيّ.
فقد جمعت المجد من أطرافه وتمتعت بطيب العيش
وملكت المال والجمال والرفعة والعبقرية الفذة وبها حققتُ تفّوقي على الكثيرين
وبلغت ما اصبو اليه
إلاّ أن أفكار الانسان الضعيفة تبددها الريح كما تبدد ذرات الرمل.
والآن علمتُ أن كُلّ ما جمعت هو هباء وقبض ريح. وأنا الآن أطلق الزفرات ألاليمة
متحسراً على الوقت الثمين الذي ضيعتُه في الجري وراء الصغائر والتوافه.
ومع هذا، وبما أن الأسف لايجدي فسأقنع بما كسبتُ "قدمتُ أهلاً"[1] مثلما نزلتُ
سهلاً في مروج ازاهير هذه الأرض الطيّبة، أرض التوسكانيين.[2]

باشرت في كتابة وقائع حياتي هذه بقلمي كما يتضح من بعض الصحائف المصححة في المخطوطة. على أني وجدت ذلك مضيعة للوقت الكثير وأنَّ عملي هذا ماهو إلاّ إعتداد بالنفس مفرط. فاستقدمتُ ابن (ميكيلي دي گورو Michele di Goro) من كُورة (پييڤي آگروپيّني Pieve a Groppine)، وهو صبيّ رقيق الحال في حدود الرابعة عشرة. ليقوم بتدوين ما أمليه عليه من وقائع حياتي أثناء تفرغي لعملي، ولم تكن متعتي التي أجنيها من هذا بالقليلة. فقد رفعت معنوياتي، وزادت من انتاجي ولهذا السبب القيت بعبء الكتابة الى الفتى وإني لآمل في المضيّ قدماً بها على قدر ما تساعفني الذاكرة.

(١) هي الترجمة الحرفية لإسم الكاتب الأول: Benvenoto والمجاز لايخفى هنا.
(٢) التوسكان شعب كان يسكن هذا الجزء من إيطاليا قبل الرومان وهي بلاد أترورويا في الزمان الغابر نشأت فيها الدوقية الكبرى على عهد آل مديتشي (١٥٦٩-١٧٣٨).